

التراث الشعبي والفن التشكيلي الفلسطيني

الفنان سليمان منصور

تأثر الفن الفلسطيني خلال المائة عام الماضية بالأحداث السياسية التي مر بها الشعب الفلسطيني ، حيث كان لهذه الأحداث دوراً هاماً في بلورة توجهات الفنانين الفكرية والفنية . وامتاز هذا الفن بالبحث الدؤوب عن ادوات تعبيرية وبصرية تعكس هذه الأحداث ، حيث كانت احيانا مرتبطة بالتقاليد والتراث الفني المحلي و احيانا اخرى بتجارب الفن العالمي ، إذ استفاد كل فنان منها حسب اطلاعه ومعرفته ، ونتج عن هذا الوضع تعدد الاساليب والمدارس والتقنيات والرؤى . ويصعب القول ان الحركة الفنية الفلسطينية حققت لها خصوصية تميزها عن غيرها من الحركات الفنية في العالم الا في قاسم واحد مشترك جمع كافة الفنانين الفلسطينيين ووحدهم وهو موضوع فلسطين الذي لعب دوراً مركزياً في غالبية اعمالهم .

واحتاج هذا الموضوع للدلالة عليه الى ادوات بصرية حيث استعان الفنانون بما يلي :

- 1- صور من الاحداث السياسية (1شموط) مثل النكبة ومشاهد طبيعية وصور شخصية .
- 2-رموز متنوعة مثل السلاسل (2كامل) الاسلاك الشائكة (3 سليمان) حمامة السلام (4) وغيرها .
- 3- الخط العربي بخاصة (سمير سلامة 5) والفن الإسلامي بعامة .
- 4-التراث الشعبي المادي مثل الأزياء (6 سليمان) العمارة (7 نبيل) والأدوات المختلفة (8 كامل) .

وحاز التراث الشعبي على اهمية خاصة في الفن الفلسطيني للوظيفة الرمزية التي اكتسبها منذ بداية ستينات القرن الماضي . وبالرغم من ان العديد من أعمال الفنانين الذين عملوا قبل هذا التاريخ بمن فيهم اسماعيل شموط احتوت (9 شموط) + (10 زلاطيمو) على عناصر من التراث الشعبي الا انها كانت جزءاً طبيعياً من المشاهد التسجيلية التي أنجزوها ولم تحمل المعاني الرمزية التي اكتسبتها لاحقاً .

وبدأت هذه الوظيفة الرمزية بعد ان اجتاز الشعب الفلسطيني صدمة النكبة في اواخر الخمسينيات وساد لدى الشعب الفلسطيني شعور عام بالحنين الى الوطن السليب . وعبر الفنانون عن هذا الشعور بلوحات شاعرية من الذاكرة لمناحي الحياة المختلفة تتغنى بجمال هذا الوطن بحقوله وقراه والحياة فيه (11+12+13) ابراهيم غنام + ابراهيم هزيمة) وكان التراث جزءاً هاماً من هذه الاعمال يعبر عن هوية الوطن وجماله واصالة شعبه .

واضافت انطلاقة الثورة عام 1965 بعداً جديداً الى الفن الفلسطيني حيث تحول البطل في اللوحة من انسان تائه الاحوال لا حول له ولا قوة الى انسان مقاتل يفيض بمشاعر العزة والكرامة

(14+15 شموط + مزين) ولعب التراث دوراً مركزياً في تأكيد هوية المقاتل واعتزازه بجذوره.

وظهر بعد عام 1967 تجدّد جديد امام الشعب الفلسطيني يتمثل في الخوف من فقدان ما تبقى من ارض ومقدسات وتاريخ ، وذلك من خلال حملات المصادرة والاستيطان وسرقة التراث التي بدأت بوادرها بضم القدس عام 1967 . وزاد من حدة هذا التحدي نكران اسرائيل والعالم الغربي وجزء من العالم العربي لوجود الشعب الفلسطيني الامر الذي جمع بين مشاعر الصمود

والتحدي وضرورة ابراز وتاكيد الهوية الوطنية . واستعان الفنانون بعدة ادوات لتجسيد فكرة الهوية منها :

1-رموز متنوعة مثل شجرة الزيتون (14 فنان الخليل) نبتة الصبر (15 فتحي) الوان العلم (16 فتحي + 17 ابو الكاس) الاقصى (18 سليمان) وغيرها .

2- التراث الشعبي المادي وخاصة الازياء (19 عبد الرحمن) التطريز (خليل رباح) العمارة الشعبية (21 تمام) وادوات زراعية متنوعة (22) .

وزاد من زخم هذا التوجه ظهور فنانين من الارض المحتلة كانوا اقرب واثق صلة بالتراث الشعبي من زملائهم في الشتات . كما ان جزءاً منهم ولد وترعرع في القرية وتشبع من ثقافتها . ومن اهم هؤلاء الفنانين كامل المغني الذي قلما خلت اعماله من عناصر التراث الشعبي (23+24 كامل) . وكذلك نبيل عناني الذي ولد وعاش في القرية وتشرب من ثقافتها وانتج اجمل لوحات المشهد الفلسطيني القروي (25+26 نبيل) . وفتحي غبن الذي تحولت رسوماته الى فن وتراث شعبي يستعملها الناس البسطاء في تزيين بطاقات افراحهم ، وكذلك سياراتهم وبيوتهم (27+28) . وكذلك سليمان منصور (29+30) وفيرا تماري (31) وغيرهم الكثير . وبرز من فناني الشتات في هذا المجال (المزين32) وامتازت أعماله بدقة تفاصيلها ، وعبد الحى مسلم (33) وبالطبع إسماعيل شموط (34) وتمام الأكل (35) وجمانة الحسيني التي أبدعت برسم مناظر القرى والقدس بأسلوب طفولي مميز (36) وزاد من ثراء هذه التجربة دمج موضوع الهوية بمواضيع مثل الثورة والصمود والأرض والدفاع عنها ولعبت المرأة بثوبها المطرز دورا مركزيا في الكثير من

اعمال تلك المرحلة حيث رمزت الى الثورة احيانا واحيانا اخرى الى الارض والوطن (37+38) .

وللتاكيد على اهمية التراث في تلك المرحلة لدى الفنانين الفلسطينيين ، انضمام اثنين من الرواد هما نبيل عناني وسليمان منصور الى لجنة التراث الشعبي في جمعية انعاش الاسرة وهي من المؤسسات الرائدة في هذا المجال والفا كتاب بعنوان " فن التطريز الفلسطيني " وساهما في تأليف كتاب " الملابس الشعبية الفلسطينية " وكذلك نظما متحف التراث الدائم في جمعية انعاش الاسرة.

ومع انطلاقة الانتفاضة الاولى حدث تطور اعمق في الاستفادة من التراث وذلك من خلال استعمال المواد الخام المستعملة في انتاج العديد من الادوات التراثية في انتاج الاعمال الفنية . ومن ابرز الفنانين الذين تعمقوا في هذا المجال نبيل عناني من خلال الجلد والحناء وهي المواد المستعملة في الصناعات الجلدية التراثية (37 +نبيل 38) . وسليمان منصور الذي استعمل الطين والتبن والشيد (39+40 سليمان) وهي المواد المستعملة في صناعة الخواوي والطواوين وبيوت النحل وغيرها الكثير . كما استعمل تيسير بركات الاصباغ الطبيعية المستخرجة من قشر الرمان والبصل والنيلة وغيرها وهي من الاصباغ التي كانت مستعملة في تلوين خيوط الحرير للتطريز (41 تيسير) . واستعمل جواد إبراهيم الحجارة المحلية المستعملة في البيوت الشعبية لانتاج تماثيل وأعمال فنية مختلفة وبدأ مرحلة مميزة منذ تلك الفترة في النحت في الحجر (42 جواد) .

إن هذا التحول نبع من روح الانتفاضة التي دعت الى مقاطعة المنتجات الإسرائيلية وطبقها الفنانون بواسطة استعمال مواد خام من محيطهم ونتج عن

هذا التوجه فن مميز على مستوى العالم العربي واكب زخم الانتفاضة من الناحية الثقافية .

في السنوات الاخيرة قلّ استعمال التراث في الفن الفلسطيني خاصة بعد اتفاقيات اوسلو ، حيث انتفى موضوع الهوية باعتراف العالم اجمع بالشعب الفلسطيني وهويته ، وكذلك انفتاح الفنانين وخاصة الجيل الجديد منهم على الفنون الغربية والعالمية بقوة وتحولوا الى اساليب وتقنيات ومفاهيم جديدة ومنها الفيديو والكاميرا وفن التركيب وغيرها .